

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا. من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ [آل عمران: ١٠٢].

يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا [النساء: ١].

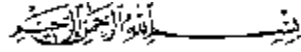
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا . يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا [الأحزاب: ٧٠-٧١].

أما بعد: إِنَّ خَيْرَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ وَخَيْرُ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحَدَّثَاتُهَا وَكُلُّ مُحَدَّثَةٍ بِدْعَةٌ.

أمّا بعد: فهذه دراسة في علم المناسبات في السور والآيات.
أذكر فيها مبادئ هذه العلم، تعريفاً به، وإيضاحاً له، ليستفيد منها من
يريد أن يطبق هذا العلم أثناء التفسير، أو يطالع كتبه التي تعتني به.
وقد جعلت عنوانها: "علم المناسبات في السور والآيات".
ثم أردفت ذلك بتحقيق رسالة للإمام جلال الدين عبدالرحمن
السيوطي (ت ٩١١هـ) رحمه الله، في جانب من جوانب المناسبات في
القرآن العظيم، واسمها: "مراصد المطالع في تناسب المقاطع والمطالع".
سائلاً الله تعالى التوفيق والهدى والرشاد والسداد، ومنه سبحانه
استمد العون.

د. محمد بن عمر بن سالم بازمول
كلية الدعوة وأصول الدين
قسم الكتاب والسنة

علم المناسبات في السور والآيات



إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور
أنفسنا ومن سيئات أعمالنا. من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا
هادي له.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده
ورسوله.

أمّا بعد:

فهذه دراسة عن مبادئ علم المناسبات، أسميتها :

علم المناسبات في السور والآيات

وتشتمل هذه الدراسة على بيان الأمور التالية:

المدخل : ترتيب سور القرآن وآياته توقيفي.

١. بداية علم المناسبات.

٢. تعريف علم المناسبات.

٣. علم المناسبات توقيفي.

٤. حكم تطلب المناسبات.

٥. فضل علم المناسبات.

٦. مسائل وتنبهات.

٧. أهم المصنفات في هذا العلم.

سائلاً الله سبحانه بأن له الحمد لا إله إلا هو المنان بديع السموات والأرض ذو الجلال والإكرام، أن يتقبل جميع عملي خالصاً لوجهه الكريم، وداعياً إلى سنة نبيه الرؤوف الرحيم، وأن يرزقني القبول في الدنيا والآخرة، إنه سميع مجيب.

د. محمد بن عمر بن سالم بازمول

المدخل: ترتيب سور القرآن وآياته توقيفي.

القرآن العظيم {كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ} [هود: ١].

أنزله الله عزوجل على رسوله **r** منجماً بحسب الأحداث والأسباب المختلفة المتنوعة، على مدى ثلاث وعشرين سنة، فمنه ما نزل في السفر، ومنه ما نزل في الحضر، ومنه ما نزل في النهار، ومنه ما نزل في الليل، ومنه ما نزل بمكة، ومنه ما نزل في المدينة.

تتنزل السورة كاملة تارة، وتارة آيات، وتارة آية، وتارة بعض آية (١)؛ فيأمر الرسول صلى الله عليه وآله وسلم صحابته أن يكتبوا ما نزل، ويضعوه في موضعه، فما انتقل صلى الله عليه وآله وسلم إلى الرفيق الأعلى إلا والقرآن مكتوب لدى الصحابة رضوان الله عليهم.

ويلاحظ أن القرآن العظيم لما مات الرسول صلى الله عليه وآله وسلم لم يكن مجموعاً في محل واحد، إنما كان مجموعته عند مجموع الصحابة مكتوباً، فلما جُمع في زمن أبي بكر الصديق **t** جمعت آياته وسوره المكتوبة أمام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وجعلت آيات كل

(١) فتح الباري (٢٢/٩).

سورة على حدة^(١)، وجمعت سور القرآن العظيم جميعها في محل واحد، وهو المصحف الذي كان عند أبي بكر **t** ثم من بعده عند عمر بن الخطاب **t** ثم من بعده عند حفصة بنت عمر بن الخطاب رضي الله عنها، وعُرف هذا المصحف بها، ف قيل له: "مصحف حفصة". فلما جاء عثمان بن عفان **t** نسخ مصحف حفصة رضي الله عنها، عدّة نسخ، ووزّعها على الأمصار الرئيسة في الدولة الإسلامية آنذاك. واقتصر في نسخه على حرف واحد: قراءة واحدة، وهي الموافقة للسان قريش.

عن أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ: "أَنَّ حُذَيْفَةَ بْنَ الْيَمَانِ قَدِمَ عَلَى عُثْمَانَ وَكَانَ يُعَازِي أَهْلَ الشَّامِ فِي فَتْحِ إِرْمِينِيَّةَ وَأَذْرَبِيجَانَ مَعَ أَهْلِ الْعِرَاقِ فَأَفْرَعَ حُذَيْفَةَ اخْتِلَافُهُمْ فِي الْقِرَاءَةِ.

فَقَالَ حُذَيْفَةُ لِعُثْمَانَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَدْرِكْ هَذِهِ الْأُمَّةَ قَبْلَ أَنْ يَخْتَلِفُوا فِي الْكِتَابِ اخْتِلَافَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى! فَأَرْسَلَ عُثْمَانُ إِلَى حَفْصَةَ: أَنْ أُرْسِلِي إِلَيْنَا بِالصُّحُفِ نَنْسُخُهَا فِي الْمَصَاحِفِ ثُمَّ نَرُدُّهَا إِلَيْكَ.

(١) فتح الباري (١٨/٩).

فَأَرْسَلَتْ بِهَا حَفْصَةَ إِلَى عُثْمَانَ فَأَمَرَ زَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ وَعَبْدُ اللَّهِ
 بَنُ الزُّبَيْرِ وَسَعِيدُ بْنُ الْعَاصِ وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ الْحَارِثِ بْنُ هِشَامٍ
 فَنَسَخُوهَا فِي الْمَصَاحِفِ.

وَقَالَ عُثْمَانُ لِلرَّهْطِ الْقُرَشِيِّينَ الثَّلَاثَةِ: إِذَا اخْتَلَفْتُمْ أَنْتُمْ وَزَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ
 فِي شَيْءٍ مِنَ الْقُرْآنِ فَارْكَبُوهُ بِلِسَانِ قُرَيْشٍ فَإِنَّمَا نَزَلَ بِلِسَانِهِمْ.
 فَفَعَلُوا حَتَّى إِذَا نَسَخُوا الصُّحُفَ فِي الْمَصَاحِفِ رَدَّ عُثْمَانُ الصُّحُفَ إِلَى
 حَفْصَةَ وَأَرْسَلَ إِلَى كُلِّ أَفْقٍ بِمُصْحَفٍ مِمَّا نَسَخُوا وَأَمَرَ بِمَا سِوَاهُ مِنَ
 الْقُرْآنِ فِي كُلِّ صَحِيفَةٍ أَوْ مُصْحَفٍ أَنْ يُحْرَقَ" (١).

عن سويد بن غفلة قال: قال علي بن أبي طالب:

"يا أيها الناس: لا تغلوا في عثمان ولا تقولوا له إلا خيراً [أو قولوا له
 خيراً] في المصاحف واحرقوا المصاحف! فوالله ما فعل الذي فعل في
 المصاحف إلا عن ملأ منا جميعاً؛ فقال: ما تقولون في هذه القراءة؟ فقد
 بلغني أن بعضهم يقول: إن قراءتي خير من قراءتك!! وهذا يكاد أن
 يكون كفراً! قلنا: فما ترى؟ قال: نرى أن نجتمع الناس على مصحف
 واحد فلا تكون فرقة، ولا يكون اختلاف. قلنا: فنعم ما رأيت. قال

(١) حديث صحيح.

أخرجه البخاري في كتاب فضائل القرآن، باب جمع القرآن حديث رقم
 (٤٩٨٧).

[ف قيل]: أي الناس أفصح وأي الناس أقرأ؟ قالوا: أفصح الناس سعيد بن العاص، وأقرأهم زيد بن ثابت. فقال: ليكتب أحدهما ويملي الآخر، ففعلا وجمع الناس على مصحف.

قال: قال علي: والله لو وليت لفعلت مثل الذي فعل "(١).

قال الحارث بن أسد المحاسبي (ت ٢٤٣هـ): "المشهور عند الناس أن جامع القرآن عثمان وليس كذلك! إنما حمل عثمان الناس على القراءة بوجه واحد على اختيار وقع بينه وبين من شهدته من المهاجرين والأنصار، لما خشي الفتنة عند اختلاف أهل العراق والشام في حروف القراءات، فأما قبل ذلك فقد كانت المصاحف بوجوه من القراءات المطلقات على الحروف السبعة التي أنزل بها القرآن، فأما السابق إلى جمع الجملة فهو الصديق. وقد قال علي: لو وليت لعملت بالمصاحف [الذي] عمل بها عثمان" اهـ (٢).

وقال البغوي رحمه الله (ت ٥١٦هـ): "إن الصحابة رضي الله عنهم جمعوا بين الدفتين القرآن الذي أنزله الله سبحانه وتعالى على رسوله صلى

(١) أثر صحيح.

أخرجه ابن أبي داود في كتاب المصاحف ص ٢٩-٣٠، والبيهقي في السنن الكبرى (٤٢/٢). وصحح إسناده الحافظ ابن حجر في فتح الباري (١٨/٩)، ومحقق شرح السنة (٥٢٥/٤).

(٢) الاتقان في علوم القرآن (أبو الفضل) (١/ ١٧١-١٧٢).

الله عليه وآله وسلم، من غير أن زادوا فيه أو نقصوا منه شيئاً.

... فأمر [خليفة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم] بجمعه في موضع واحد باتفاق من جميعهم، فكتبوه كما سمعوا من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، من غير أن قدموا شيئاً أو أخرّوا، أو وضعوا له ترتيباً لم يأخذوه من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يلقي أصحابه ويعلمهم ما ينزل عليه من القرآن على الترتيب الذي هو الآن في مصاحفنا، بتوقيف جبريل صلوات الله عليه، إياه على ذلك، وإعلامه عند نزول كل آية أن هذه الآية تكتب عقيب آية كذا في السورة التي يذكر فيها كذا ...

فثبت أن سعي الصحابة كان في جمعه في موضع واحد، لا في ترتيبه فإن القرآن مكتوب في اللوح المحفوظ على الترتيب الذي هو في مصاحفنا أنزله الله تعالى جملة واحدة في شهر رمضان ليلة القدر إلى السماء الدنيا، كما قال سبحانه وتعالى: {شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ} [البقرة: ١٨٥]. {إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ} [القدر: ١]. ثم كان ينزله مفرقاً على رسوله صلى الله عليه وسلم مدة حياته عند الحاجة، وحدوث ما يشاء الله عز وجل، قال الله سبحانه وتعالى: {وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ

لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا {

[الإسراء: ١٠٦]؛ فترتيب النزول غير ترتيب التلاوة.

وكان هذا الاتفاق ن الصحابة سبباً لبقاء القرآن في الأمة، رحمة من الله عزوجل على عباده وتحقيقاً لوعده في حفظه، كما قال الله عزوجل: {إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ} [الحجر: ٩].

ثم إن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، كانوا يقرؤون القرآن بعده على الأحرف السبعة، التي أقرأهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بإذن الله عزوجل، إلى أن وقع الاختلاف بين القراء في زمن عثمان، وعظم الأمر فيه، وكتب الناس بذلك من الأمصار إلى عثمان، وناشدوه الله تعالى في جمع الكلمة، وتدارك الناس قبل تفاقم الأمر.

وقدم حذيفة بن اليمان من غزوة أرمينية فشافهه بذلك، فجمع عثمان عند ذلك المهاجرين والأنصار، وشاورهم في جمع القرآن في المصاحف على حرف واحد، ليزول بذلك الخلاف، وتتفق الكلمة، واستصوبوا رأيه، وحضوه عليه، ورأوا أنه من أحوط الأمور للقرآن، فحينئذ أرسل عثمان إلى حفصة: أن أرسلني إلينا بالصحف ننسخها في المصاحف،

فأرسلت إليه، فأمر زيد بن ثابت والرهط القرشيين الثلاثة
فنسخوها في المصاحف، وبعث بها إلى الأمصار (١). "اهـ (٢).

ولعلك بعد هذا العرض تعلم أن ترتيب سور القرآن العظيم على هذا
النحو ترتيب توقيفي، إذ ليس في خبر جمع القرآن ما يدل على أن
الصحابة رضي الله عنهم غيروا أو بدلوا، بتقديم أو تأخير شيء من
المصحف الذي جمعه، و ألفوه على ترتيب واحد من البداية (٣).

(١) قال ابن كثير رحمه الله في كتابه فضائل القرآن ص ٢٠: "وهذا أيضاً
من أكبر مناقب أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه، فإن
الشيخين سبقاه إلى حفظ القرآن أن يذهب منه شيء، وهو جمع الناس
على قراءة واحدة لئلا يختلفوا في القرآن، ووافقه على ذلك جميع
الصحابة. وإنما روي عن عبدالله بن مسعود شيء من التغضب بسبب أنه
لم يكن ممن كتب المصاحف، وأمر أصحابه بغل مصاحفهم لما أمر
عثمان بحرق ما عدا المصحف الإمام، ثم رجع ابن مسعود إلى الوفاق،
حتى قال علي بن أبي طالب: لو لم يفعل ذلك عثمان لفعلته أنا. فاتفق
الأئمة الأربعة: أبوبكر وعمر وعثمان وعلي، على أن ذلك من مصالح
الدين. وهم الخلفاء الذين قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:
"عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي". "اهـ

(٢) شرح السنة (٤/٥٢١-٥٢٣).

(٣) أمّا حديث ابن عباس: قلت لعثمان بن عفان: ما حملكم على أن عمدتم
إلى الأنفال وهي من المثاني، وإلى براءة وهي من المئين فقرنتم بينهما
ولم تكتبوا سطوراً : "بسم الله الرحمن الرحيم، ووضعتموها في السبع
الطوال؟ فما حملكم على ذلك؟ ... " الحديث ؛ فإنه حديث ضعيف جداً،
وألفاظه منكروه.

قال العلامة أحمد شاكر في تحقيقه للمسند (١/٣٢٩-٣٣١ تحت رقم
٣٩٩) عن هذا الحديث: "لا أصل له".

=

قال ابن وهب: سمعت مالكا يقول: "إنما أُلِّفَ القرآن على ما كانوا يسمعون من قراءة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم" (١).
 أمّا ترتيب الآيات داخل السور فهو بتوقيف من الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، فقد تواتر ذلك عنه تواتراً معنوياً لا شبهة فيه، وقد نقل الاجماع عليه غير واحد من أهل العلم (٢).
 فإذا كان الحال كذلك في سور القرآن وآياته، فلا بد أن يكون في هذا الترتيب حكمة وسر، إذ الله هو اللطيف الحكيم الخبير.
 ومن هنا يأتي الكلام عن المناسبات في القرآن العظيم، إذ هو علم تعرف منه علل ترتيب القرآن في سورته وآياته (٣).
 فكيف كانت بداية علم المناسبات؟ وما تعريف هذا العلم؟ وهل هو توقيفي أو توفiqي؟ إلى غير ذلك من الأسئلة، وإجاباتها موضوع الصفحات التالية إن شاء الله تعالى.

تنبيه : في مسألة ترتيب سور القرآن أقوال أخرى، انظر: البرهان في علوم القرآن للزركشي (١/٢٦٠)، الاتقان في علوم القرآن للسيوطي (أبو الفضل) (١/١٧٦).
 (١) المقنع للداني ص ١٨، المرشد الوجيز ص ٤٦، وانظر روح المعاني (١/٢٣)، ومباحث في علوم القرآن لصبحي الصالح ص ٧١-٧٣.
 (٢) انظر تهذيب وترتيب الاتقان ص ١٦٠.
 (٣) انظر نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (١/٥).

١- بداية علم المناسبات

إذا عُلِمَ أن ترتيب سور القرآن العظيم، وترتيب آياته إنما كان بتوقيف من الله اللطيف الحكيم الخبير؛ إذا عُلِمَ ذلك فإننا يقيناً نعلم أن الله عزوجل ما قدّم هذه السورة على تلك، وما استفتح بهذه الآية هذه السورة، وما ختم تلك السورة بكذا، إلا لمناسبة، قد تظهر حتى يعلمها المتدبر لكتاب الله تبارك وتعالى، وقد تدق حتى لا تكاد تعلم، أو لا تعلم على وجه اليقين أصلاً.

وقد تتلمس تأييد ذلك، أعني مراعاة مناسبات القرآن في سوره وآياته، فيما ورد عن جابر رضي الله عنه .

عَنْ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: دَخَلْنَا عَلَى جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ فَسَأَلَ عَنْ الْقَوْمِ حَتَّى انْتَهَى إِلَيَّ فَقُلْتُ: أَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ بْنِ حُسَيْنٍ فَأَهْوَى يَدَهُ إِلَى رَأْسِي فَتَزَعَزَعَ زُرِّي الْأَعْلَى ثُمَّ نَزَعَ زُرِّي الْأَسْفَلَ ثُمَّ وَضَعَ كَفَّهُ بَيْنَ ثَدْيَيْ وَأَنَا يَوْمَئِذٍ غُلَامٌ شَابٌّ فَقَالَ: مَرْحَبًا بِكَ يَا ابْنَ أَخِي سَلْ عَمَّا شِئْتَ. فَسَأَلْتُهُ وَهُوَ أَعْمَى وَحَضَرَ وَقْتُ الصَّلَاةِ فَقَامَ فِي نِسَاجَةٍ مُلْتَحِفًا بِهَا كُلَّمَا وَضَعَهَا عَلَى مَنْكِبِهِ رَجَعَ طَرَفَاهَا إِلَيْهِ مِنْ صِغَرِهَا وَرِدَاؤُهَا إِلَى جَنْبِهِ عَلَى الْمَشْجَبِ فَصَلَّى بِنَا.

فَقُلْتُ: أَخْبِرْنِي عَنْ حَجَّةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟

فَقَالَ بِيَدِهِ فَعَقَدَ تِسْعًا فَقَالَ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَكَثَ تِسْعَ سِنِينَ لَمْ يَحْجَّ، ثُمَّ أَذَّنَ فِي النَّاسِ فِي الْعَاشِرَةِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَاجٌّ فَقَدِمَ الْمَدِينَةَ بَشَرٌ كَثِيرٌ كُلُّهُمْ يَلْتَمِسُ أَنْ يَأْتِمَ بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَيَعْمَلَ مِثْلَ عَمَلِهِ فَخَرَجْنَا مَعَهُ حَتَّى أَتَيْنَا ذَا الْخُلَيْفَةِ فَوَلَدَتْ أَسْمَاءُ بِنْتُ عُمَيْسٍ مُحَمَّدَ بْنَ أَبِي بَكْرٍ فَأَرْسَلَتْ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَيْفَ أَصْنَعُ قَالَ اغْتَسِلِي وَاسْتَنْفِرِي بِثَوْبٍ وَأَخْرِمِي فَصَلَّى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْمَسْجِدِ ثُمَّ رَكِبَ الْقَصْوَاءَ حَتَّى إِذَا اسْتَوَتْ بِهِ نَاقَتُهُ عَلَى الْبَيْدَاءِ نَظَرْتُ إِلَى مَدِّ بَصَرِي بَيْنَ يَدَيْهِ مِنْ رَاكِبٍ وَمَاشٍ وَعَنْ يَمِينِهِ مِثْلَ ذَلِكَ وَعَنْ يَسَارِهِ مِثْلَ ذَلِكَ وَمِنْ خَلْفِهِ مِثْلَ ذَلِكَ وَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَبِينُ أَظْهَرَنَا وَعَلَيْهِ يَنْزِلُ الْقُرْآنُ وَهُوَ يَعْرِفُ تَأْوِيلَهُ وَمَا عَمِلَ بِهِ مِنْ شَيْءٍ عَمِلْنَا بِهِ فَأَهْلَ بِالتَّوْحِيدِ لَبَّيْكَ اللَّهُمَّ لَبَّيْكَ لَا شَرِيكَ لَكَ لَبَّيْكَ إِنَّ الْحَمْدَ وَالنُّعْمَةَ لَكَ وَالْمُلْكَ لَا شَرِيكَ لَكَ وَأَهْلَ النَّاسِ بِهَذَا الَّذِي يُهْلُونَ بِهِ فَلَمْ يَرُدَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَيْهِمْ شَيْئًا مِنْهُ وَلَزِمَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَلْبِيَّتَهُ قَالَ جَابِرٌ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لَسْنَا نَنْوِي إِلَّا الْحَجَّ لَسْنَا نَعْرِفُ الْعُمْرَةَ حَتَّى إِذَا أَتَيْنَا الْبَيْتَ مَعَهُ اسْتَلَمَ الرُّكْنَ فَرَمَلَ ثَلَاثًا وَمَشَى أَرْبَعًا ثُمَّ نَفَذَ إِلَى مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَقَرَأَ وَاتَّخَذُوا مِنْ

مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى فَجَعَلَ الْمَقَامَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْبَيْتِ فَكَانَ أَبِي يَقُولُ وَلَا أَعْلَمُهُ ذَكَرَهُ إِلَّا عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَقْرَأُ فِي الرَّكْعَتَيْنِ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ وَقُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ ثُمَّ رَجَعَ إِلَى الرُّكْنِ فَاسْتَلَمَهُ ثُمَّ خَرَجَ مِنَ الْبَابِ إِلَى الصَّفا فَلَمَّا دَنَا مِنَ الصَّفا قَرَأَ {إِنَّ الصَّفاَ وَالْمُرْوَةَ مِنَ شَعَائِرِ اللَّهِ} [البقرة: ١٥٨] أَبْدَأُ بِمَا بَدَأَ اللَّهُ بِهِ فَبَدَأُ بِالصَّفاَ، فَرَقِي عَلَيْهِ حَتَّى رَأَى الْبَيْتَ فَاسْتَقْبَلَ الْقِبْلَةَ فَوَحَّدَ اللَّهَ وَكَبَّرَهُ وَقَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ أَنْجَزَ وَعْدَهُ وَنَصَرَ عَبْدَهُ وَهَزَمَ الْأَحْزَابَ وَحْدَهُ ثُمَّ دَعَا بَيْنَ ذَلِكَ قَالَ مِثْلَ هَذَا ثَلَاثَ مَرَّاتٍ ثُمَّ نَزَلَ إِلَى الْمُرْوَةِ حَتَّى إِذَا انْصَبَّتْ قَدَمَاهُ فِي بَطْنِ الْوَادِي سَعَى حَتَّى إِذَا صَعِدْنَا مَشَى حَتَّى أَتَى الْمُرْوَةَ فَفَعَلَ عَلَى الْمُرْوَةِ كَمَا فَعَلَ عَلَى الصَّفا ... "الحديث (١).

والشاهد في الحديث قوله في الحديث: " فَلَمَّا دَنَا مِنَ الصَّفا قَرَأَ {إِنَّ الصَّفاَ وَالْمُرْوَةَ مِنَ شَعَائِرِ اللَّهِ} [البقرة: ١٥٨]، أَبْدَأُ بِمَا بَدَأَ اللَّهُ بِهِ فَبَدَأُ بِالصَّفا"

(١) حديث صحيح.

أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب الحج، باب حجة النبي صلى الله عليه وآله وسلم، حديث رقم (١٢١٨).

فالرسول صلى الله عليه وآله وسلم بدأ بالصفاء لما بدأ الله بها في الآية، وقال: "أبدأ بما بدأ به الله"، فراعى صلى الله عليه وآله وسلم مناسبة البدء بذكر الصفاء في الآية، فبدأ بها في السعي.

ومما يتضمن إشارة إلى المناسبات في القرآن ما جاء عن عبادة بن الصّامِتِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "لَا صَلَاةَ لِمَنْ لَمْ يَقْرَأْ بِفَاتِحَةِ الْكِتَابِ" (١).

ففي هذا الحديث الشريف بيان مناسبة وعلاقة الفاتحة بالقرآن العظيم فهي فاتحته، وهي أمه كما جاء في الحديث عن العلاء عن أبيه عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "مَنْ صَلَّى صَلَاةً لَمْ يَقْرَأْ فِيهَا بِأَمِّ الْقُرْآنِ فَهِيَ خِدَاجٌ ثَلَاثًا غَيْرُ تَمَامٍ"

فَقِيلَ لِأَبِي هُرَيْرَةَ: إِنَّا نَكُونُ وَرَاءَ الْإِمَامِ؟

فَقَالَ: اقْرَأْ بِهَا فِي نَفْسِكَ فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: "قَالَ اللَّهُ تَعَالَى فَسَمْتُ الصَّلَاةَ بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي نِصْفَيْنِ وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ."

(١) حديث صحيح.

أخرجه البخاري في كتاب الأذان باب وجوب القراءة للإمام والمأموم في الصلوات كلها، حديث رقم (٧٥٦)، ومسلم في كتاب الصلاة، باب وجوب قراءة الفاتحة في كل ركعة، حديث رقم (٣٩٤).

فَإِذَا قَالَ الْعَبْدُ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: حَمْدِي عَبْدِي.

وَإِذَا قَالَ: الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ. قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: أَتْنَى عَلَيَّ عَبْدِي.
وَإِذَا قَالَ: مَا لِكَ يَوْمَ الدِّينِ. قَالَ: مَجْدَنِي عَبْدِي. وَقَالَ مَرَّةً: فَوَضَّ إِلَيَّ عَبْدِي.

فَإِذَا قَالَ: إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ. قَالَ: هَذَا بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ.

فَإِذَا قَالَ: اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ. قَالَ هَذَا لِعَبْدِي وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ" (١).
قال البخاري رحمه الله: "وُسِّمَتْ أُمُّ الْكِتَابِ أَنَّهُ يُبْدَأُ بِكِتَابَتِهَا فِي الْمَصَاحِفِ وَيُبْدَأُ بِقِرَاءَتِهَا فِي الصَّلَاةِ" (٢).

وقد قيل: سميت أم القرآن لاشتغالها على المعاني التي في القرآن من الثناء على الله تعالى والتعبد بالأمر والنهي والوعد ولوعيد . وعلى ما

(١) حديث صحيح.

أخرجه مسلم في كتاب الصلاة باب وجوب قراءة الفاتحة في كل ركعة، حديث رقم (٣٩٥).

(٢) في كتاب التفسير، باب ما جاء في فاتحة الكتاب. انظر صحيح البخاري مع فتح الباري (١٥٦/٨).

فيها من ذكر الذات والصفات والفعل . واشتمالها على ذكر
المبدأ والمعاد والمعاش (١).

وهذا النوع من المناسبات يعرف بمناسبة اسم السورة لمضمونها،
ومقصودها.

فبداية علم المناسبات والإشارة إليه تتلمس في أحاديث الرسول صلى
الله عليه وآله وسلم، بل إن الأعرابي بسليقته وفطرته يستشعر المناسبات
في القرآن العظيم.

قال الأصمعي: "كنت أقرأ سورة المائدة ومعني أعرابي، فقرأت هذه
الآية: {وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالاً مِّنَ اللَّهِ
...} [المائدة: ٣٨]. فقلت: "والله غفور رحيم" سهواً. ثم تنبهت فقلت:
{وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ}. فقال: الآن أصبت! فقلت: كيف عرفت؟ قال: يا
هذا عزيز حكيم فأمر بالقطع. فلو غفر ورحم لما أمر بالقطع" (٢).

وحكي أن أعرابياً سمع قارئاً يقرأ: {فَإِنْ زَلَلْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْكُمْ
الْبَيِّنَاتُ فَاَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ...} "غفور رحيم" ولم يكن يقرأ القرآن، فقال:
إن كان هذا كلام الله فلا يقول كذا، ومرّ بهما رجل فقال: كيف تقرأ هذه

(١) فتح الباري (١٥٦/٨).

(٢) تفسير الرازي (٢٢٩/١١).

الآية؟ فقال الرجل: { فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ } فقال:

هكذا ينبغي، الحكيم لا يذكر الغفران عند الزل؛ لأنه إغراء عليه^(١).

وتعرف هذه المناسبات بمناسبة ختم الآية باسماء الله الحسنی.

فالكلام عن المناسبات في البداية كان موجوداً بصورة متناثرة في ثنايا الحديث والتفسير عموماً، ولكنه لما يأخذ بعد في تلك المرحلة هيئة جامعة، واضحة المعالم.

وفي مرحلة تالية نجد الكلام عن المناسبات أخذ صورة واضحة المعالم، ولكن لم يدوّن تدويناً جامعاً مستقلاً، وهذه المرحلة تظهر في كلام بعض العلماء، من ذلك:

قال ابن العربي (ت ٥٤٣هـ) رحمه الله، في كتابه "سراج المريدين":
 "ارتباط أي القرآن بعضها ببعض حتى تكون كالكلمة الواحدة متسعة المعاني منتظمة المباني علم عظيم لم يتعرض له إلا عالم واحد عمل فيه سورة البقرة، ثم فتح الله لنا فيه فلمّا لم نجد له حملة، ورأينا الخلق بأوصاف البطلة، ختمنا عليه، وجعلناه بيننا وبين الله ورددناه إليه" اهـ^(٢).

(١) الاتقان (أبو الفضل) (٣٠٣/٣).

(٢) البرهان في علوم القرآن للزركشي (٦٣/١)، نظم الدرر للبقاعي (٦/١)، الاتقان (أبو الفضل) (٣٢٣/٣).

وقال غيره: أوّل من أظهر علم المناسبة الشيخ أبوبكر النيسابوري (ت ٣٢٤هـ)، وكان غزير العلم في الشريعة والأدب، وكان يقول على الكرسي إذا قريء عليه: لم جعلت هذه الآية جنب هذه؟ وما الحكمة في جعل هذه السورة إلى جنب هذه السورة؟ وكان يزري على علماء بغداد لعدم علمهم بالمناسبة^(١).

والحال في هذه المرحلة التي لم تظهر فيها كتب جامعة في المناسبات، سوى شذرات متفرقة هنا وهناك، كما قال الرازي (ت ٦٠٦هـ) رحمه الله: "إني رأيت جمهور المفسرين معرضين عن هذه اللطائف، غير متبهيّن لهذه الأمور، وليس الأمر في هذا الباب إلا كما قيل:

والنجم تستصغر الأبصار والذنب للطرف لا للنجم في
الصغر" اهـ^(٢)

رؤيته

وتأتي بعد هذا المرحلة الثالثة، حيث أخذ هذه العلم صورة مستقلة جامعة، وظهرت كتب تفسير تعتني بإبراز المناسبات، في جميع سور القرآن العظيم.

(١) البرهان في علوم القرآن للزركشي (٣٦/١)، الاتقان (أبو الفضل) (٣٢٢/٣).

(٢) تفسير الرازي (١٢٨/٧). وانظر نظم الدرر (٧-٦/١).

ولعل كتاب "التفسير الكبير" للرازي يمثل بداية هذه

المرحلة، ثم بعده توالى المؤلفات، فمن ذلك:

- كتاب "مفتاح الباب المقفل على فهم القرآن المنزل"، لأبي الحسن

علي بن أحمد الحرالي (ت ٦٣٧هـ).

وقد أكثر البقاعي (ت ٨٨٥هـ)، من النقل عنه، وذلك في كتابه "نظم

الدرر".

يقول البقاعي واصفاً هذا التفسير: "وانتفعت في هذا الكتاب (يعني:

نظم الدرر) كثيراً بتفسير على وجه كلي، للإمام الرباني أبي الحسن علي بن

أحمد بن الحسن التجيبي الحرالي - بمهملتين مفتوحتين، ومد وتشديد

اللام - المغربي، نزيل حماة من بلاد الشام سمّاه "مفتاح الباب المقفل

لفهم القرآن المنزل"، وكتاب العروة لهذا المفتاح، يذكر فيه وجه إنزال

الأحرف السبعة وما تحصل به قراءتها، وكتاب التوشية والتوفية، في

فصول تتعلق بذلك. وقد ذكرت أكثر هذا الكتاب في تضعيف كتابي

هذا (يعني: نظم الدرر) معزواً إليه في مواضع تليق به، ثم بعد وصولي

إلى سورة الأنفال ملكت جزءاً من تفسيره فيه من أوله إلى {إن الله

اصطفى { في آل عمران [آية: ٣٣]، فرأيته عديم النظر، وقد ذكرت فيه المناسبات، وقد ذكرت منها ما أعجبني وعزوته إليه "اهـ^(١).

- وكتاب "التحرير والتحرير لأقوال أئمة التفسير في معاني كلام السميع البصير" المعروف بـ "تفسير ابن النقيب"، ومصنفه أبو عبد الله محمد بن سليمان المقدسي الحنفي المعروف بابن النقيب (ت ٦٩٨ هـ) رحمه الله.

قال في وصفه البقاعي رحمه الله: "ذكر لي أن تفسير ابن النقيب الحنفي وهو في نحو ستين مجلداً يذكر فيه المناسبات، وفي خزانة جامع الحاكم كثير منه، فطلبت منه جزءاً فرأيت الأمر كذلك بالنسبة إلى الآيات لا جملها، وإلى القصص لا جميع آياتها" اهـ^(٢).

- وكتاب "البرهان في ترتيب سور القرآن" لأبي جعفر أحمد بن إبراهيم بن الزبير الأندلسي (ت ٧٠٨ هـ).

(١) نظم الدرر (٧/١).

(٢) نظم الدرر (٧/١).

وقد ذكر البقاعي رحمه الله هذا الكتاب وقال عنه: "وهو
لبيان مناسبة تعقيب السورة بالسورة فقط، لا يتعرض فيه
للآيات" اهـ^(١).
ثم توالى بعد ذلك المؤلفات. هذا ما يتعلق ببداية هذا العلم.

(١) نظم الدرر (٥/١).

٢- تعريف علم المناسبات

المناسبة في اللغة: مصدر من ناسب يناسب مناسبة، ومادة "النون، والسين، والباء" تدور حول معنى: "اتصال شيء بشيء". ومنه النسب، سمي لاتصاله والاتصال به^(١).

تقول: فلان نسيب فلان، تعني: أنه متصل به بنوع قرابة.

وفي الاصطلاح العام: المناسبة هي علة الترتيب.

وعند علماء القرآن العظيم: مناسبات القرآن العظيم هي "علل ترتيب أجزائه بعضها ببعض"^(٢).

أو بعبارة أخرى: مناسبات القرآن العظيم هي "المعنى الذي يربط بين سورته وآياته"^(٣).

وإذا كان العلم الوضعي هو "معرفة مجموع الأصول الكلية والمسائل المندرجة تحت جهة واحدة"^(٤).

(١) معجم مقاييس اللغة (٤٢٣/٥).

(٢) انظر نظم الدرر (٥/١).

(٣) انظر الاتقان (أبوالفضل) (٣٢٣/٣).

(٤) أبجد العلوم (٤٣/١) وما بعدها.

فإن علم المناسبات هو : "معرفة مجموع الأصول الكلية والمسائل المتعلقة بعلم ترتيب أجزاء القرآن العظيم بعضها ببعض".
أو "معرفة مجموع الأصول الكلية والمسائل المتعلقة بالمعنى الذي يربط بين سور القرآن العظيم وآياته".
ويقصد بالأصول الكلية: الأمور العامة التي يرجع إليها هذا العلم،
كقولهم:

- الأصل أن ترتيب سور القرآن العظيم وآياته توقيفي.
- الأصل أنه لم يقدم هذا على هذا، أو لم يأت هذا كذا إلا لحكمة
وسر.

- الأصل أن الرابط إما أن يكون لفظياً أو معنوياً.
- الأصل أن طلب المناسبة توفيقية.
- الأصل أن مقاصد القرآن ثلاثة: تقرير التوحيد والعقيدة،
وتقرير الأحكام والحلال والحرام، وتقرير قصص السابقين.
ويقصد بالمسائل: الأمور الجزئية المتعلقة ببيان الرابط في موضع ما.
والعلل هي المعاني التي تصلح أن تكون رابطة بين الآية والآية،
والسورة والسورة.

وقد تضمن هذا التعريف الإشارة إلى أنواع المناسبات، وهي التالية:

القسم الأول: المناسبات الداخلية، وهي الأنواع التالية:

الأول: مناسبات ترتيب آيات السورة الواحدة، واعتلاق بعضها

ببعض، وارتباطها وتلاحمها وتناسقها.

الثاني: مناسبة مطلع السورة للمقصد الذي سيقت له، وذلك براعة

الاستهلال.

الثالث: مناسبة ختام السورة لمطلعها.

الرابع: مناسبة فواصل الآي للآية التي ختمت بها، ومنه مناسبة

أسماء الله الحسنى للآية التي ختمت بها.

القسم الثاني: المناسبات الخارجية، وهي الأنواع التالية:

الأول: مناسبة السورة لما قبلها ولما بعدها.

الثاني: مناسبة ختام السورة لمطلع السورة التالية لها .

الثالث: مناسبة مطلع السورة لمطلع السورة التي تليها.

وهناك نوع يدخل في القسمين، فلا ينظر فيه إلى سورة بمفردها مع

سورة أخرى، ولا إلى آية بمفردها مع آية أخرى، وهو مناسبة موضوع

مجموعة من السور لمجموعة من السور، أو لسورة، ومناسبة موضوع

مقطع من الآيات في السورة لمقطع آخر.

فمثلاً: الفاتحة أم الكتاب؛ لأنه يُبدأ بكتابتها في المصحف وبقراءتها في الصلاة قبل السورة، ولأن الأم مبدأ الولد، أو لأن الفاتحة أصل القرآن لانطوائها على جميع أغراض القرآن العظيم، وما فيه من العلوم والحكم؛ لأن أم الشيء أصله (١).

وهذا التقرير فيه إشارة إلى معنى يربط بين الفاتحة وسائر سور القرآن العظيم، فهنا مناسبة سورة لمجموع سور القرآن.

مثال آخر: ما جاء عَنْ أَبِي بِنِ كَعْبٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ: يَا أَبَا الْمُنْذِرِ أَتَدْرِي أَيُّ آيَةٍ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ مَعَكَ أَعْظَمُ؟
قَالَ: قُلْتُ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ!

قَالَ: يَا أَبَا الْمُنْذِرِ أَتَدْرِي أَيُّ آيَةٍ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ مَعَكَ أَعْظَمُ؟
قَالَ: قُلْتُ: اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ.

قَالَ: فَضَرَبَ فِي صَدْرِي وَقَالَ: وَاللَّهِ لِيَهْنِكَ الْعِلْمُ أَبَا الْمُنْذِرِ" (٢).
فهذا الحديث فيه بيان معنى يربط بين آية واحدة وسائر آي القرآن العظيم.

(١) فتح الباري (١٥٦/٨) ، قطف الأزهار (ل٣/ب).

(٢) حديث صحيح.

أخرجه مسلم في كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضل سورة الكهف وآية الكرسي، حديث رقم (٨١٠).

مثال آخر: الآيات من آية رقم (١)، إلى الآية رقم (٢٠)

من سورة البقرة تعتبر المقدمة بالنسبة لمحتوى السورة، حيث وصف القرآن بما هو أهله، ووصف متبعيه ومخالفيه كلاهما يستحقه.

ثم يأتي المقصد الأول من آية رقم (٢١ - ٢٥)، في دعوة الناس كافة إلى الإسلام.

ثم يأتي المقصد الثاني من آية رقم (٤٠ - ١٦٢)، في دعوة أهل الكتاب، دعوة خاصة إلى ترك باطلهم والدخول في هذا الدين الحق.

ثم يأتي المقصد الثالث من آية رقم (١٧٨ - ٢٨٣)، في عرض شرائع هذا الدين تفصيلاً.

ثم يأتي المقصد الرابع في آية واحدة وهي رقم (٢٨٤)، في ذكر الوازع والنازع الديني الذي يبعث على ملازمة تلك الشرائع ويعصم عن مخالفتها.

ثم تأت الخاتمة في آيتين اثنتين هما رقم (٢٨٥ - ٢٨٦)، في التعريف بالذين استجابوا لهذه الدعوة الشاملة لتلك المقاصد، وبيان ما يرجى لهم في عاجلهم وآجلهم.

أمّا الآيات من (٢٦ - ٣٩)، الواقعة بين المقصد الأول والثاني، فقد كان الحديث فيها عوداً على بدء.

والآيات من (١٦٣-١٧٧)، كانت مدخلاً للمقصد

الثالث.

ها أنت ترى مدى التناسب بين مقاطع أطول سورة في القرآن العظيم^(١)، فهنا مناسبة بين مجموعة آيات ومجموعة أخرى داخل سورة واحدة.

(١) وقد فصل في بيان ذلك وتقريره صاحب كتاب "النبأ العظيم" ص ١٦٣-٢١١.

٣- علم المناسبات توفيقى

لعلك وقد وصل بك الحديث إلى هذا الحد قد أدركت أن هذا العلم ليس توقيفياً، بل يعتمد على اجتهاد المفسر، ومبلغ درايته بعلوم العربية والبلاغة والشريعة، وتذوقه للأساليب وأوجه بيانها، ومبلغ رهافة حسّه لإعجاز القرآن وأسراره في النظم واللفظ والمعنى^(١). وما دام الحال كذلك فما حكم تطلب المناسبات في السور والآيات؟ هذا يقودنا إلى القضية التالية:

٤- حكم تطلب المناسبات بين السور والآيات

لما لم يكن علم المناسبات توقيفياً. وكان مرجعه إلى اجتهاد المفسر؛ فقد اختلف العلماء رحمهم الله في حكم تطلب المناسبات في القرآن العظيم.

فذهب بعضهم إلى أنه لا يجوز تطلب المناسبات في القرآن العظيم؛ لأنه من القول على الله بغير علم، ولأن الآيات كانت تنزل بحسب

(١) مباحث في علوم القرآن لمناع القطان ص ٩٧.

الوقائع في نيف وعشرين سنة، في أحكام مختلفة، ووقائع متعددة، وما كان كذلك لا يتأتى ربط بعضه ببعض.

وممن ذهب هذا المذهب عبدالعزيز بن عبدالسلام^(١)، والشوكاني^(٢). بل ذهب أبو العلاء محمد بن غانم، إلى أن الاقتضاب هو الأصل في القرآن كله، [وأن القرآن إنما ورد على الاقتضاب الذي هو طريقة العرب من الانتقال إلى غير ملائم]^(٣).

وذهب آخرون إلى جواز تطلب المناسبات في سور القرآن العظيم وآياته، إلى درجة التكلف، والرجم بالغيب، دون ضابط أو قيد. وكلا طرفي الأمور ذميم.

ونوقش القائلون بأنه لا يجوز تطلب المناسبات، بما يلي:

أن قولهم: "إن القرآن لم ينزل على هذا الترتيب"؛ حق!

(١) البرهان في علوم القرآن للزركشي (٣٧/١)، الاتقان (أبو الفضل) (٣٢٣-٢٢٣/٣).

(٢) فتح القدير الجامع بين علمي الرواية والدراية في التفسير (٧٢/١).

(٣) الفوائد المشوق ص ١٤١، الاتقان (أبو الفضل) (٣٢٦/٣). وقد ذكر في معجم البلاغة العربية ص ٥٤٦-٥٤٨، أن من البلاغيين من ذهب إلى أن الاقتضاب موجود في مواضع من القرآن العظيم، ولكنهم لم يقولوا كأبي المطرف أنه هو الأصل في أسلوب القرآن العظيم ونظمه. ومرادهم بالاقتضاب: الانتقال من كلام إلى كلام غيره بدون ملاءمة ولا مناسبة بين الكلامين. مأخوذ من قضب بمعنى قطع. ويكون الانتقال من باب حسن التخلص ونحوه.

ولكن لا يلزم من ذلك أن لا يكون ترتيبه في المصحف في
سوره وآياته اجتهادي، بل هو في آياته ترتيب توقيفي اجماعاً، فترتيب
الآيات داخل كل سورة بتوقيف من الرسول صلى الله عليه وآه وسلم
اجماعاً. أمّا ترتيب سوره فإنه بتوقيف على الصحيح، وإذا كان الحال
كذلك فإن طلب المناسبة لا يتعارض مع كونه نزل منجماً على غير ترتيب
المصحف.

ووجود آيات لا يظهر فيها وجه قريب للربط بين السور والآيات، لا
يعني بطلان تطلب المناسبات من أصله، وكذا وجود تكلفات من
بعضهم في تقرير المناسبة، إنما تكون سبباً لرد قولهم، لا لرد علم
المناسبات من أصله. علماً بأنه ليس من شرط المناسبة أن تكون ظاهرة،
بحيث يعلمها كل أحد، وليس من شرطها أن تكون الآيات متحدات
أو متماثلات أو متداخلات، أو ما اشبه ذلك، بل قد تكون كذلك، وقد
تكون بأمر آخر غير هذا.

قال الشيخ ولي الله الملوي (ت ٧٧٤هـ): "قد وهم من قال: لا يطلب
للآي الكريمة مناسبة؛ لأنها على حسب الوقائع المتفرقة.

وفصل الخطاب: أنها على حسب الوفاء تنزيلاً، وعلى حسب الحكمة ترتيباً وتأصيلاً، مرتبة سوره كلها وآياته بالتوقيف كما أنزل جملة إلى بيت العزة.

ومن المعجز البين أسلوبه ونظمه الباهر، فإنه {كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ} [هود: ١]. "اهـ^(١). ونوقش المتكلفون في تطلب المناسبات^(٢)، بما يلي:

هؤلاء ظنوا أن المناسبة بين الآية والآية تعني اتحادهما أو تماثلها أو تداخلها أو ما إلى ذلك من الصلات الجنسية حسب! فجعل فريق منهم يذهب في محاولة هذا النوع من لاتصال مذاهب التكلف والتعسف.

وهؤلاء ضيقوا دائرة البحث في المناسبات بالتماسها بين المعاني المتجاوزة خاصة، وهذا خلاف الواقع في القرآن العظيم؛ إذ إن القرآن العظيم انتظم معاني مختلفة وموضوعات شتى، يوردها على أسلوب الترسل فهو لا يترسل في الحديث عن الجنس الواحد استرسالاً يرده إلى الإطالة المملة، كيف وهو الحديث الذي لا يمل؟

(١) نظم الدرر (٦/١)، الاتقان (أبوالفضل) (٣/٣٢٣) بتصرف منهما.
(٢) مستفادة جميعها مع تصرف من كتاب "النبأ العظيم" ص ١٦٠-١٦٣.

فإذا كان هذا الواقع كيف يطلب أن تكون الصلة بين الآية

والآية اتحاد أو تماثل أو تداخل؟

ولذلك ليس شرطاً أن تكون المناسبة من هذا القبيل، بل قد تكون المناسبة هي في التضاد، يجاور بين الأضداد ليخرج بذلك محاسنها ومساوئها في أجل مظهرها، أو تكون المناسبة في جمعه بين الأمور المختلفة في أنفسها من غير تضاد فيجعلها تتعاون في أحكامها يسوق بعضها إلى بعض مساق التنظير أو التفريع أو الاستشهاد أو الاستنباط أو التكميل أو الاحتراس إلى غير ذلك، وربما جعل اقتران معنيين في الوقوع التاريخي أو تجاور شيئين في الوضع المكاني دعامة لاقتراניהما في النظم فيحسبه الجاهل بأسباب النزول وطبيعة المكان خروجاً وما هو بخروج، وإنما هو إجابة لحاجات النفوس التي تتداعى فيها تلك المعاني. فإن لم يكن بين المعنيين نسب و لا صهر بوجه من هذه الوجوه ونحوها، رأيته يتلطف في الانتقال من أحدهما إلى الآخر إمّا بحسن التخلص والتمهيد، وإمّا بإمالة الصيغ التركيبية على وضع يتلاقى فيه المتباعدان ويتصافح به المتناكران، وهذه كلها وجوه حسنة لو نظر إليها بين آحاد المعاني لأغنى بعضها عن بعض في إقامة النسق.

على أن روعة النظم القرآني لا تقوم دائماً على حسن التجاور بين الآحاد، بل ربما تراه قد أتم طائفة من المعاني ثم عاد إلى طائفة أخرى تقابلها، فيكون حسن الموقع في التجاور بين الطائفتين موجباً لحسن المقابلة بين الأوائل من كل منهما، أو بين الأواخر كذلك، لا بين الأوّل من هذه والآخر من تلك.

فالحديث في القرآن العظيم ذو شجون، ولكنه يجمع الأجناس المختلفة لا يدعها حتى يبرزها في صورة مؤتلفة، وحتى يجعل من اختلافها نفسه قواماً لائتلافها، وهذا التأليف بين المختلفات ما زال هو "العقدة" التي يطلب حلها في كل فن وصنعة جميلة، وهو المقياس الدقيق الذي تقاس به مراتب البراعة ودقة الذوق في تلك الفنون والصناعات؛ فإن تقويم النسق وتعديل المزاج بين الألوان والعناصر الكثيرة أصعب مراساً وأشدّ عناء منه في أجزاء اللون الواحد، والعنصر الواحد.

والصواب - إن شاء الله تعالى - بعد هذه المناقشة لمذهب المانعين والمطلقين القول بالجواز إلى حد التكلف: جواز طلب المناسبات بين السور والآيات، وأنه علم حسن، ولكن بالشروط التالية:

شروط جواز طلب المناسبات في القرآن العظيم:

- أن تكون المناسبة منسجمة مع السياق والسباق واللاحق.
- أن لا تكون المناسبة متعارضة مع الشرع.
- أن تكون متوافقة مع تفسير الآية، غير مخالفة له مخالفة تضاد .
- أن لا تكون المناسبة متعارضة مع اللسان العربي المبين الذي نزل به القرآن العظيم.
- أن لا يجزم المفسر بأن هذه المناسبة هي مراد الله تعالى، غاية الأمر أن هذا ما أدّاه إليه اجتهاده ونظره وتدبره.
- أن يعلم أن المناسبة موجودة، و لا يلزم أن تكون ظاهرة في كل موضع لكل أحد.
- وعلى الجملة فإنه يشترط لجواز طلب المناسبات ما يشترط في قبول التفسير بالرأي؛ إذ هي مرتبطة ارتباط وثيق به، والله اعلم.

٥- فضل علم المناسبات

لعل مما يؤكد جواز تطلب المناسبات في القرآن العظيم: الوقوف على فضله وأهميته، ويمكن إيراد ذلك على وجه الاختصار في النقاط التالية:

١ - أن في هذا العلم ابراز لجانب من اسرار القرآن العظيم، وصوره من إعجازه.

قال الرازي أثناء تفسيره لسورة البقرة: "من تأمل لطائف نظم هذه السورة، في بدائع ترتيبها؛ علم أن القرآن كما أنه معجز بحسب فصاحة الفاظه، وشرف معانيه، فهو أيضاً معجز بحسب ترتيبه ونظم آياته، ولعل الذين قالوا: إنه معجز بحسب أسلوبه أرادوا ذلك" اهـ^(١).

وقال الأصبهاني (ت ٧٤٩هـ): "إن القرآن معجز. والركن الأيمن للإعجاز يتعلق بالنظم والترتيب" اهـ^(٢).

قال الشيخ ولي الله الملوي (ت ٧٧٤هـ): "من المعجز البين أسلوبه ونظمه الباهر، فإنه {كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ} [هود: ١]. " اهـ^(٣).

(١) تفسير الرازي (١٢٨/٧).

(٢) نظم الدرر (١٩/١).

(٣) نظم الدرر (٦/١)، الاتقان (أبو الفضل) (٣٢٣/٣) بتصرف منهما.

قال البقاعي (ت ٨٨٥هـ) رحمه الله: "وبهذا العلم يرسخ الإيمان في القلب ويتمكن من اللب، وذلك أنه يكشف أن للإعجاز طريقين: أحدهما نظم كل جملة على حياها بحسب التركيب. والثاني نظمها مع أخذتها بالنظر إلى الترتيب" اهـ^(١).

٢- أن في هذا العلم آية من آيات صدق المصطفى صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله، وأن هذا القرآن كتاب الله من لدن لطيف حكيم خبير^(٢)؛ إذ من المعلوم أن القرآن العظيم كان ينزل منجماً مفرقاً على مدى ثلاث وعشرين سنة، وقد تلقى الصحابة عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ترتيب آيات القرآن العظيم وسوره، ومعلوم أن هذا الترتيب الحاصل بين سور القرآن العظيم وآياته، ليس في مقدور بشر، مهما كان عقله ومهما بلغت فصاحته وبيانه، فكان في ذلك آية على ثبوت نبوة النبي صلى الله عليه وآله وسلم^(٣).

٣- أن في اظهار المناسبات في السور والآيات ما يساعد على فهم النص القرآني ويبين معناه.

(١) نظم الدرر (٧/١).

(٢) تفسير القرطبي (٧٥/١).

(٣) النبأ العظيم ص ١٤٢-١٥٧.

قال الزركشي (ت ٧٩٤هـ) رحمه الله: "اعلم أن المناسبة علم شريف تحرز به العقول، ويعرف به قدر القائل فيما يقول... وفائدته: جعل أجزاء الكلام بعضها آخذ بأعناق بعض، فيقوى بذلك الارتباط ويصير التأليف حاله حال البناء المحكم المتلائم الأجزاء" اهـ (١).

قال البقاعي (ت ٨٨٥هـ) رحمه الله: "علم مناسبات القرآن علم تعرف منه علل ترتيب أجزائه، وهو سر البلاغة؛ لأدائه إلى تحقيق مطابقة المعاني لما اقتضاه من الحال. وتتوقف الإجابة فيه على معرفة مقصود السورة المطلوب ذلك فيها، ويفيد ذلك معرفة المقصود من جميع جملها، فلذلك كان هذا العلم في غاية النفاسة، وكانت نسبته من علم التفسير نسبة علم البيان من علم النحو" اهـ (٢).

٤- أن طلب المناسبات إعانة على الحفظ، وامتنال لأمر الله عز وجل حيث قال تبارك وتعالى: {كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ} [سورة ص: ٢٩]، وقال تبارك وتعالى: {أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا} [سورة محمد: ٢٤].

(١) البرهان في علوم القرآن للزركشي (٣٧/١).

(٢) نظم الدرر (٥/١).

٥- أن طلب المناسبات فيه تحصيل الأجر والثواب من الله عزوجل، إذ تحصل فيه قراءة القرآن العظيم، فيحصل أجر قراءة القرآن العظيم.

عن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "مَنْ قَرَأَ حَرْفًا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ فَلَهُ بِهِ حَسَنَةٌ وَالْحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا لَا أَقُولُ الْم حَرْفٌ وَلَكِنْ أَلِفٌ حَرْفٌ وَلَا مٌ حَرْفٌ وَمِيمٌ حَرْفٌ" (١).

(١) حديث صحيح.

أخرجه الترمذي في كتاب فضائل القرآن باب فيمن قرأ حرفاً من القرآن، حديث رقم (٣٠٨٧)، وأخرجه الدارمي موقوفاً على عبدالله بن مسعود في كتاب فضائل القرآن باب فضل من قرأ القرآن، حديث رقم (٣٣٠٨). والحديث قال عنه الترمذي: "حسن صحيح غريب من هذا الوجه"، وصححه محقق جامع الأصول (٤٩٨/٨)، والألباني في صحيح سنن الترمذي (٩/٣) تحت رقم (٢٣٢٧).

٦- مسائل وتنبيهات

أورد هنا جملة من المسائل والتنبيهات المتممة للتعريف بمبادئ علم المناسبات، وهي التالية:

مسألة : المناسبات تتعلق بالسور والآيات، فما هي السورة؟ وما هي الآية؟

السورة : هي الطائفة من الآيات المترجمة توقيفياً^(١).

ويقصد بـ "المترجمة توقيفياً" أي المسماة باسم خاص بتوقيف من النبي صلى الله عليه وآله وسلم^(٢).

والآية : هي العلامة التي يعرف بها تمام ما قبلها وابتدائها، توقيفياً^(٣).

مسألة : ما الطريقة الرشيدة لمعرفة المناسبات؟

إن السياسة الرشيدة في دراسة النسق القرآني تقتضي أن تعرض السورة عرضاً واحداً يرسم به خط سيرها إلى غايتها ويبرز به وحدة

(١) انظر في معرفة اشتقاقها في اللغة تفسير غريب القرآن لابن قتيبة ص ٣٤، تفسير الطبري (شاکر) (١٠٤/١).

(٢) الاتقان (أبو الفضل) (١٥٠/١).

(٣) تفسير الطبري (شاکر) (١٠٦/١).

نظامها المعنوي في جملته، لكي يُرى في ضوء هذا البيان كيف وقعت كل حلقة موقعها من تلك السلسلة العظمى^(١).

وذلك أن السورة مهما تعددت قضاياها فهي كلام واحد، يتعلق آخره بأوله، وأوله بآخره، ويتراعى بجملته إلى غرض واحد، كما تتعلق الجمل بعضها ببعض في القضية الواحدة، وأنه لا غنى لمتفهم نظم السورة عن استيفاء النظر في جميعها، كما لا غنى عن ذلك في أجزاء القضية^(٢).

وهذا ما يُسمى الآن بـ "الوحدة الموضوعية" للسورة.

قال محمد بن أحمد الملوي (ت ٧٧٤هـ): "الذي ينبغي في كل آية: أن يبحث أول كل شيء عن كونها مكملة لما قبلها أو مستقلة. ثم المستقلة ما وجه مناسبتها لما قبلها؟
ففي ذلك علم جم.

وهكذا في السور يطلب وجه اتصالها بما قبلها وما سيقى له "أهـ"^(٣).

(١) انظر النبأ العظيم ص ١٥٨-١٥٩.

(٢) انظر الموافقات (٣/٤١٢-٤١٦).

(٣) البرهان في علوم القرآن للزركشي (٣٧/).

وقال أبو الفضل محمد البجائي المالكي (ت ٨٦٥هـ)، وهو من شيوخ البقاعي رحمهما الله، ونقل هذه عنه: "الأمر الكلي المفيد لعرفان مناسبات الآيات في جميع القرآن هو أنك تنظر الغرض الذي سيقت له السورة.

وتنظر إلى ما يحتاج إليه ذلك الغرض من المقدمات.

وتنظر إلى مراتب تلك المقدمات في القرب والبعد من المطلوب.

وتنظر عند انجرار الكلام في المقدمات إلى ما يستتبعه من استشراف نفس السامع إلى الأحكام واللوازم التابعة له، التي تقتضي البلاغة شفاء الغليل بدفع عناء الاستشراف إلى الوقوف عليها؛ فهذا هو الأمر الكلي المهيمن على حكم الربط بين جميع أجزاء القرآن، وإذا فعلته تبين لك إن شاء الله وجه النظم مفصلاً بين آية وآية، في كل سورة والله الهادي" اهـ^(١).

قال البقاعي (ت ٨٨٥هـ) رحمه الله متحدثاً عن المناسبات في القرآن العظيم: "وتتوقف الإجابة فيه على معرفة مقصود السورة المطلوب ذلك فيها، ويفيد ذلك معرفة المقصود من جميع جملها" اهـ^(٢).

(١) نظم الدرر (١١/١)، وانظر الانتقان (أبو الفضل) (٣٢٧/٣-٣٢٨) فقد نقل هذا الكلام بعينه وقال: "قال بعض المتأخرين".
 (٢) نظم الدرر (٥/١).

مسألة : ما أحوال ارتباط الآي بعضها ببعض؟

ارتبط الآي بعضها ببعض يكون على أحوال:

الأول: أن يظهر الارتباط بين الآية الأولى والآية الثانية؛ لتعلق

الكلام بعرضه ببعض، وعدم تمام معنى الآية الأولى إلا بالثانية.

فهذه الحال وجه المناسبة فيها بين الآيتين واضح.

وكذلك إذا كانت الثانية للأولى على وجه التأكيد والتفسير أو

الاعتراض والتشديد.

وهذه الحال لا كلام فيها.

الثانية: أن لا يظهر الارتباط بين الآية والأخرى بل يظهر أن كل جملة

مستقلة عن الأخرى، وأنها خلاف النوع المبدؤ به، فهذه على نوعين:

النوع الأول: أن تكون معطوفة على ما قبلها بحرف من حروف

العطف المشتركة في الحكم.

النوع الثاني: أن تكون غير معطوفة على ما قبلها.

ففي النوع الأول؛ إذا كانت الآية الثانية معطوفة على الأولى، لا بد أن

تكون بينهما جهة جامعة، إمّا برابط عام، أو خاص، وهو من المزج

اللفظي، بالنظر إلى العطف.

ومن أمثلته : ذكر الرحمة بعد ذكر العذاب، والرغبة بعد
الرهبة، وذكر الوعد والوعيد بعد ذكر الأحكام؛ ليكون باعثاً على العمل
بها، ثم يذكر آيات التوحيد والتنزيه ليعلم عظم الأمر والناهي سبحانه
وتعالى.

وتأمل سورة البقرة والنساء والمائدة وغيرها تجدها كذلك.
وفي النوع الثاني، إذا كانت الآية الثانية غير معطوفة على الأولى مع
عدم ظهور الارتباط بينهما، فلا بد من دعامة تؤذن باتصال الكلام،
وهي قرائن معنوية مؤذنة بالربط، وهذا مزج معنوي حيث تنزل الثانية
من الأولى منزلة جزئها الثاني.

مسألة: ما أسباب المزج المعنوي؟
للمزج المعنوي أسباب^(١)، وهي التالية:

أحدها : التنظير؛ فإن إلحاق النظر بنظيره من دأب العقلاء.
ومن أمثلته : قوله تبارك وتعالى: {وَعَدَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ
وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا هِيَ حَسْبُهُمْ وَلَعَنَهُمُ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ
مَّقِيمٌ}

(١) ذكرها الزركشي في البرهان (٤٦/١-٥٠)، والسيوطي في الاتقان
(أبوالفضل) (٣٢٤/٣-٣٢٧)، وما هنا استفدته منهما.

كَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ أَمْوَالًا
وَأَوْلَادًا فَاسْتَمْتَعُوا بِخَلَاقِهِمْ فَاسْتَمْتَعْتُمْ بِخَلَاقِكُمْ كَمَا اسْتَمْتَعَ الَّذِينَ مِنْ
قَبْلِكُمْ بِخَلَاقِهِمْ وَخُضْتُمْ كَالَّذِي خَاضُوا أُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي
الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ} [التوبة: ٦٨ - ٦٩].

حيث نظر بين حال أهل الكفر والنفاق وما هم فيه، بحال الذين من
قبلهم وكانوا أشد منهم قُوَّةً واستمتعوا بشهواتهم الفانية فاحبط الله
أعمالهم في الدنيا والآخرة، فليحذر هؤلاء أن يصيبهم ما اصاب أولئك.
قال البيضاوي رحمه الله (ت ٧١٩هـ) (١): "ذم الأولين باستمتاعهم
بحظوظهم المخدجة من الشهوات الفانية، والتهائم بها عن النظر في
العاقبة، والسعي في تحصيل اللذائذ الحقيقية، تمهيداً لدم المخاطبين
بمشابهم واقتفاء أثرهم" اهـ (٢).

الثاني : المضادة.

ومثاله : قوله تبارك وتعالى : { الْم . ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى
لِّلْمُتَّقِينَ . الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ
. وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ

(١) هذا هو الراجح في تاريخ وفاته كما نبّه على ذلك الشهاب الخفاجي في
أول حاشيته على تفسير البيضاوي (٤/١).
(٢) تفسير البيضاوي ص ٢٦٠.

يُوقِنُونَ . أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ .
 إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ . خَتَمَ اللَّهُ
 عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ {
 [البقرة: ١-٦].

فإن أول السورة كان حديثاً عن القرآن العظيم، وأن من شأنه الهداية
 للقوم الموصوفين بالإيمان، فلما أكمل سبحانه وتعالى وصف المؤمنين
 عقب بحديث عن الكافرين، فبينهما جامع وهمي بالتضاد من هذا
 الوجد، وحكمته التشويق والثبوت على الأول كما قيل: "وبضدها تتميز
 الأشياء" (١).

واجتمع معنى التطير، والمضادة في قوله تبارك وتعالى: {هُوَ الَّذِي
 أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ
 فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ
 تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ
 مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُوا الْأَلْبَابِ . رَبَّنَا لَا تَرُغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ
 هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ . رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ
 النَّاسِ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ . إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَن تُغْنِي

(١) الاتقان (أبو الفضل) (٣/٣٢٥).

عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِّنَ اللَّهِ شَيْئًا وَأُولَئِكَ هُمْ وَقُودُ النَّارِ . كَذَابِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ { [آل عمران: ٧-١١] .

فقوله: { إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَن تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِّنَ اللَّهِ شَيْئًا وَأُولَئِكَ هُمْ وَقُودُ النَّارِ } [آل عمران: ١٠] ، يضاد الآيات قبله، حيث ذكر أهل الإيمان وحالهم، ودعاءهم، وتضرعهم، ثم هنا حكى حال الكافرين وشديد عقابهم.

والجامع بين الحالين المضادة.

وقوله: { كَذَابِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ } [آل عمران: ١١] ، نظر دأب الكفار وتكذيبهم بمحمد صلى الله عليه وآله وسلم، بدأب فرعون وتكذيبه نبي الله موسى عليه الصلاة والسلام، وما معه من الآيات، فكما أهلك الله أولئك ونصر حزبه، فكذا الله قادر على أن يهلك هؤلاء.

والجامع بين الآيتين التنظير.

الثالث: الاستطراد (١).

(١) وهو الانتقال من معنى إلى معنى آخر متصل به، لم يقصد بذكر الأول التوصل إلى الثاني، ثم قطعه والعود إلى الأول. معجم البلاغة العربية ص ٣٧١-٣٧٣.

ومثاله : قوله تبارك وتعالى: {يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ
 الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ
 وَرَسُولَهُ إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ. إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ
 وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ. الَّذِينَ يُقِيمُونَ
 الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ. أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ
 رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ. كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا
 مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَاذِبُونَ} [الأنفال: ١- ٥].

فبدأ بخطاب الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، عن الأنفال،
 وسؤالهم إياه عنها، ثم استطرد إلى ذكر أوصاف المؤمنين، فقال: { إِنَّمَا
 الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ
 إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ. الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ.
 أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ}
 [الأنفال: ١ - ٥]، ثم عاد إلى ما سافتتح به السورة وهو خطاب الرسول
 صلى الله عليه وآله وسلم، فقال: { كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ
 وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَاذِبُونَ}.

فهنا استطرد وتنظير.

ومن أمثلة الاستطراد ما جاء في قوله تبارك وتعالى: {وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَاهِيمَ. إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ. قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَّلَ لَهَا عَاكِفِينَ. قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ. أَوْ يَنْفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ. قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ. قَالَ أَفَرَأَيْتُمْ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ. أَنْتُمْ وَأَبَاؤُكُمْ الْأَقْدَمُونَ. فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ. الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ. وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِي. وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِي. وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِي. وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ. رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ. وَاجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ. وَاجْعَلْنِي مِنْ وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ. وَاعْفُ رَأْيِي إِنَّهُ كَانَ مِنَ الضَّالِّينَ. وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ} [الشعراء: ٦٩-٨٧].

فإنه تلى نبأ إبراهيم عليه الصلاة والسلام، حتى قوله: {وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ}، فتخلص منه إلى وصف المعاد في سبعة عشر آية، مبتدئاً بقوله عقب الآية السابقة بقوله تبارك وتعالى: {يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ} [الشعراء: ٨٨]، ثم عاد بعد ذلك التخلص إلى تلاوة قصص المرسلين وجانب مما واجهوه في دعوتهم لقومهم، فقال: {كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ. إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ} [الشعراء: ١٠٥-١٠٦].

الرابع : حسن التخلص ^(١).

ومثاله : في سورة الكهف لما ذكر قول ذي القرنين في السد بعد دكه، الذي هو من أشرط الساعة، تخلص منه إلى النفخ في الصور وذكر الحشر ووصف مآل الكفار والمؤمنين. قال الله تبارك وتعالى: {قَالَ هَذَا رَحْمَةٌ مِنْ رَبِّي فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا. وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعًا. وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِلْكَافِرِينَ عَرْضًا. الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاءٍ عَنْ ذِكْرِي وَكَانُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا. أَفَحَسِبَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ يَتَّخِذُوا عِبَادِي مِنْ دُونِي أَوْلِيَاءَ إِنَّا أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ نُزُلًا. قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا. الَّذِينَ ضَلَّ سَعِيَّهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا. أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزَنًا. ذَلِكَ جَزَاؤُهُمْ جَهَنَّمَ بِمَا كَفَرُوا وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَرُسُلِي هُزُوعًا. إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا. خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا. قُلْ

(١) التخلص: أن ينتقل من معنى إلى معنى بينهما علاقة، ويكون مقصده هذا الثاني، ولذلك لا يعود إلى الأول. انظر معجم البلاغة العربية ص ٢٠١-٢٠٢.

لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَاداً لَّكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفَذَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَذَ
كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا { [الكهف: ٩٨ - ١١٠].

الخامس : حسن المطلب، وهو أن يخرج إلى الغرض بعد تقدم
الوسيلة.

مثاله: قوله تبارك وتعالى: {إياك نعبد وإياك نستعين} [الفاتحة: ٥].

قال ابن قيم الجوزية (ت ٧٥١هـ): "لما كان سؤال الله الهداية إلى
الصراط المستقيم أجل المطالب، ونيله أشرف المواهب؛ علم الله عباده
كيفية سؤاله، وأمرهم أن يقدموا بين يديه حمده والثناء عليه، وتمجيده،
ثم ذكر عبوديتهم وتوحيدهم، فهاتان وسيلتان إلى مطلوبهم: توسل إليه
باسمائه وصفاته. وتوسل إليه بعبوديته. وهاتان الوسيلتان لا يكاد يرد
معهما الدعاء" اهـ (١).

ومما اجتمع فيه حسن التخلص وحسن المطلب معاً قوله تبارك
وتعالى: {قَالَ أَفَرَأَيْتُمْ مَا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ . أَنْتُمْ وَأَبَاؤُكُمْ الْأَقْدَمُونَ . فَإِنَّهُمْ
عَدُوِّي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ . الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ . وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي
وَيَسْقِينِ . وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ . وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ . وَالَّذِي

(١) مدارج السالكين (٢٣/١).

أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ . رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا
وَالْحَقْنِي بِالصَّالِحِينَ { [الشعراء: ٧٥-٨٣].

فقد تخلص نبي الله إبراهيم عليه الصلاة والسلام بقوله فيما ذكره الله
تبارك وتعالى: {فَاِيَهُمْ عَدُوٌّ لِي إِلَّا رَبُّ الْعَالَمِينَ} [الشعراء: ٧٧]،
فتخلص من ذكر الله عزوجل إلى ذكر نعمه وآلائه المتضمنة لتوحيد
الربوبية ليكون فيه إلزام لقومه بتوحيد الألوهية لله تعالى، فلما قدم هذه
الأمور جعلها وسيلة لسؤاله في قوله: {رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَالْحَقْنِي
بِالصَّالِحِينَ}.

السادس : الانتقال من حديث إلى آخر تنشيطاً للسامع، مفصلاً
باسم الإشارة "هذا".

مثاله : قوله تبارك وتعالى: {وَادْكُرْ إِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَذَا الْكِفْلِ وَكُلٌّ
مِّنَ الْأَخْيَارِ. هَذَا ذِكْرٌ وَإِن لِلْمُتَّقِينَ لِحُسْنِ مَّآبٍ . جَنَّاتٍ عَدْنٍ مَّفْتَحَةٌ لَهُمْ
الْأَبْوَابُ . مُتَكِنِينَ فِيهَا يُدْعَوْنَ فِيهَا بِفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ . وَعِنْدَهُمْ
قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ أَتْرَابٌ. هَذَا مَا تُوعَدُونَ لِيَوْمِ الْحِسَابِ . إِنَّ هَذَا
لَرِزْقُنَا مَا لَهُ مِنْ نَّفَادٍ. هَذَا وَإِن لِلطَّاغِينَ لَشَرِّ مَّآبٍ. جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا فَنَسُوا
الْهَادُ. هَذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ} [سورة ص: ٤٨-٥٧].

فقد انتقل من ذكر الأنبياء إلى ذكر الجنة وأهلها رابطاً بين الحديثين باسم الإشارة "هذا"، ثم انتقل بعد الحديث عن الجنة وأهلها إلى ذكر النار وأهلها رابطاً بين الحديثين باسم الإشارة "هذا". ولا يخفى مع هذا جميعه التقاء الآية بالآية في معناها، ورميها إليها بطنبها تشد معناها.

وغير ذلك من الأسباب^(١).

مسألة : فإن قلت: ما الفرق بين التخلص والاستطراد؟

الفرق بين التخلص والاستطراد : أنك في التخلص تركت ما كنت فيه بالكلية، وأقبلت على ما تخلصت إليه، وفي الاستطراد تمر بذكر الأمر الذي استطردت إليه مروراً، ثم تتركه وتعود إلى ما كنت فيه كأنك لم تقصده، وإنما عرض عروضا^(٢).

قال الزركشي (ت ٧٩٤هـ) رحمه الله: "حيث قصد التخلص فلا بد من التوطئة له، ومن بديعه قوله تعالى: {نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ}

(١) وقد سبقت الإشارة إلى أثناء مناقشة مذهب المتكلمين للمناسبة إلى أمور أخرى من اسباب المزج المعنوي، كتداعي المعاني، والتسلسل التاريخي، فليكن على ذكر منك.

(٢) الاتقان (أبو الفضل) (٣/٣٢٦).

[سورة يوسف: ٣]. يشير إلى قصة يوسف عليه السلام، فوطاً بهذه الجملة إلى ذكر القصة يشير إليها بهذه النكتة من باب الوحي والرمز.

وكقوله سبحانه موطئاً للتخلص إلى ذكر مبتدأ خلق المسيح عليه السلام: {إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ}. اهـ (١).

مسألة : يكفي في الجامع التعلق على أي وجه كان (٢)، ما دامت شروط قبوله متوفرة.

مسألة : كما أن النكات لا تتزاحم (٣)، فكذا المناسبات لا تتزاحم، بمعنى: لا مانع أن توجد بين الآية والآية أكثر من مناسبة.

مسألة : أيهما أولى البداءة به : المناسبة أو سبب النزول؟

قال الزركشي (ت ٧٩٤هـ) رحمه الله: "جرت عادة المفسرين أن يبدؤوا بذكر سبب النزول، ووقع البحث: أيما أولى البداءة به، بتقدّم السبب على المسبب، أو بالمناسبة؛ لأنها المصححة لنظم الكلام، وهي سابقة على النزول؟

(١) البرهان للزركشي (٤٥/١). وانظر معجم البلاغة العربية ص ٣٧٢.

(٢) الاتقان (أبو الفضل) (٣٢٥/٣).

(٣) حاشية الشهاب على البيضاوي (٢٩٢/١).

والتحقيق التفصيل بين أن يكون وجه المناسبة متوقفاً على سبب النزول؛ فهذا ينبغي فيه تقديم ذكر السبب؛ لأنه حينئذ من باب تقديم الوسائل على المقاصد.

وإن لم يتوقف على ذلك فالأولى تقديم وجه المناسبة "أهـ" (١).

تنبيه : الاهتمام بمعرفة مقاصد السورة وموضوعاتها، يساعد على سداد القول وتوفيقه للصواب، ويبعده عن جور القصد (٢).

تنبيه : لا يشترط في الكلام على مناسبة آية وآية أن يكون وقت نزولهما واحداً؛ لأن الزمان إنما يشترط في سبب النزول. ولا يشترط في المناسبة لأن المقصود منها وضع آية موضع يناسبها، والآيات كانت على أسبابها، وتأخذ ترتيبها في السورة بتوقيف من الرسول صلى الله عليه وآله وسلم (٣).

تنبيه : لا يقصد بالصلة بين الآية والآية اتحادهما أو تماثلهما أو تداخلهما، أو ما إلى ذلك من الصلات الجنسية فحسب، بل الصلة تكون بذلك وبغيره مما مضت الإشارة إليه (٤).

تنبيه : تكرر من بعضهم قوله: "ختم بكذا مراعاة للفاصلة في الآي" أو قوله: "قدّم وأخر مراعاة لفواصل الآي"!!

وفي هذا باطلاً نظراً؛ غز القرآن قائم على مراعاة المعنى مع إعجاز اللفظ، والظاهر أن ختم الآي بفاصلة معينة، والتقديم والتأخير فيها ليس لمجرد مراعاة فواصل الآي، إنما الأمر معنوي آخر؛ فإن أمكن

(١) البرهان للزركشي (٣٤/١).

(٢) النبأ العظيم ص ١٥٨-١٥٩.

(٣) البرهان للزركشي (٢٦/١)، الاتقان (أبو الفضل) (٨٨/١).

(٤) النبأ العظيم ص ١٦٠-١٦٢.

الباحث مراعاتهما (أعني: المناسبة المعنوية واللفظية)، دون إخلال فيها، وإلا فإن إظهار الجانب المعنوي مقدّم في القرآن العظيم. ألا ترى مثلاً قوله تبارك وتعالى: {وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ} [سورة يوسف: ١٧]، لم يقل: "وما أنت بمصدق" مع أن فيه رعاية للتجنيس؛ لأن في قوله تبارك وتعالى: {بِمُؤْمِنٍ لَّنَا} من المعنى ما ليس في "بمصدق"؛ لأن معنى "مصدق" قال لي أنت صدقت. وأمّا قوله: {بِمُؤْمِنٍ} مصدق مع اعطاء الأمن والإطمئنان إليه. وهذا مقصود إخوة يوسف عليه الصلاة والسلام، ولذلك جاء به (١). ومراعاة المناسبات المعنوية أدخل في أقسام البلاغة، وأثبت في محل الإعجاز.

(١) انظر اعجاز القرآن للباقلاني ص ٥٧-٦٥، الاتقان (أبوالفضل) (٢٩٣-٢٩٤، ٢٧٣/٣-٢٧٤).

٧- أهم المصنفات في هذا العلم

أذكر هنا جملة من أهم الصمنفات في المناسبات.

فمن هذه المصنفات:

١- كتاب الرازي (ت ٦٠٦هـ)، "التفسير الكبير"، وهو كتاب مطبوع

متداول. ولا يشمل الكلام على جميع المناسبات، بحسب أنواعها.

٢- ومنها كتاب "البرهان [في مناسبة] (١) ترتيب سور القرآن" لأبي

جعفر أحمد بن إبراهيم بن الزبير الغرناطي (ت ٧٠٨هـ).

وهو لبيان مناسبة تعقيب السورة بالسورة فقط، لا يتعرض فيه

للآيات (٢).

وقد ذكر البقاعي في كتابه "نظم الدرر" في أول كل سورة كلام أبي

جعفر ابن الزبير فيها بلفظه (٣).

(١) انظر ما قاله محقق كتاب "ملاك التأويل" لأبي جعفر ابن الزبير، في مقدمة التحقيق حول اسم هذا الكتاب (٢٥/١)، مع التنبيه إلى أنني أوردت اسم الكتاب كما نص عليه السيوطي في الاتقان (٣٢٢/٣). وقد ذكره البقاعي رحمه الله قبل السيوطي في مقدمة كتابه "نظم الدرر" (٥/١)، وسمّاه: "المعلم بالبرهان في ترتيب سور القرآن".

(٢) نظم الدرر (٥/١).

(٣) ونص على هذا في أول نظم الدرر (٥/١). وعليه فإن في ثنايا "نظم الدرر" نسخة من كتاب أبي جعفر، بدون المقدمة.

٣- ومنها كتاب "نظم الدرر في تناسب الآيات والسور"

لبرهان الدين أبي الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي (ت ٨٨٥هـ) (١).

وهو أوسع كتاب في بابيه، واشتمل على بيان المناسبات بأنواعها. ولديه ولع في استعمال التفسير الإشاري، واستعمال حساب الجمل، وإيراد ما في التوراة والإنجيل، وقد أخذ عليه ذلك غفر الله له ورحمه رحمة واسعة.

٤- ومنها كتاب: "أسرار التنزيل" أو "قطف الأزهار في كشف

الأسرار" لجلال الدين عبدالرحمن السيوطي (ت ٩١١هـ) رحمه الله. وهو كتاب مخطوط (٢).

قال السيوطي رحمه الله في مقدمة كتابه "قطف الأزهار"، بعد ذكره ما ألفه من كتب في تفسير القرآن وعلومه: "وهذا كتاب شفعت به تلك

(١) وهو مطبوع متداول، من طبعاته طبعة دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ، خرّج آياته وأحاديثه ووضع حواشيه عبدالرزاق غالب المهدي.

(٢) قال في كشف الظنون (١٣٥٢/٢) عن هذا الكتاب: "كتب إلى آخر سورة براءة في مجلد ضخّم" اهـ.

قلت: وقد وقفت على هذه النسخة المنتهية إلى سورة براءة، وقال ناسخها في آخرها: "تم هذا الكتاب بمنه وكرمه وحسن توفيقه، وكان الفراغ من ذلك يوم الاثنين المبارك سادس شهر الحجة، سنة سبع وخمسين وتسعمائة، على يد كاتبه محمد الأجهوري بلداً الشافعي مذهباً، غفر الله له ولوالديه والمسلمين، آمين. آمين. آمين" اهـ.

ونظمته معها في سلك من أسرار التنزيل، اذكر فيه جميع ما
وصل إلى علمي من كلام العلماء في النظم القرآني:
من أسرار التقديم والتأخير.
والتأكيد والحذف والإيجاز والاطناب.
والنكت البيانية؛ من التشبيه والاستعارة والكناية، والتعريض.
والأنواع البديعية؛ من الالتفات والتورية، والاستخدام والجناس،
والمشاكلة والمقابلة، إلى غير ذلك من أنواعه.
وسرّ ما اختلفت فيه الآيات المتشابهة من تقديم أو تأخير، أو زيادة أو
نقص، أو إبدال كلمة بأخرى.
وما بين الكلمات التي يظن ترادفها من فرق.
ولم وقع في هذا الموضع كذا، وفي هذا الموضع رديفه، ولم ختمت هذه
الآية بـ {يؤمنون} وهذه بـ {يعملون}، وهذه بـ {يعقلون}، وهذه بـ
{يذكرون} إلى غير ذلك.
وأنبه على القراءات المختلفة المشهورة والشاذة، إذا كان لكل قراءة
معنى، فإن من وجوه اعجاز القرآن وإيجازه وتنوع قراءاته: دلالة كل
قراءة على معنى؛ فإن ذلك بمنزلة تعدد الآيات. وهذا نوع عظيم من

البلاغة: أن يكون للفظ الواحد بجوهره يقرأ على وجهين،
فيفيد بهذا الاعتبار معنيين.

وأبين مناسبة ترتيب السور، والخفي من مناسبات الآيات، إلى غير
ذلك مما [تراه]^(١)، من النكت والأسرار" اهـ^(٢).

وقد ذكر السيوطي كتابه هذا، وفصّل في بيان محتواه في مقدّمة كتابه
"تناسق الدرر".

٥- ومن كتب المناسبات: كتاب "تناسق الدرر في تناسب السور"
لجلال الدين عبدالرحمن السيوطي (ت ٩١١هـ)^(٣).

٦- ومنها: كتاب "مراصد المطالع في تناسب المقاطع والمطالع"
للسيوطي (ت ٩١١هـ)^(٤).

(١) هذه الكلمة مطموسة في المخطوط ولعلها كما أثبتتها والله أعلم.

(٢) [٣/أ].

(٣) وهو مطبوع، وقفت له على طبعة دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة
الأولى ١٤٠٦هـ، تحقيق: عبدالقادر أحمد عطا.

(٤) وقفت لهذه الرسالة على أربع نسخ خطية، وهي:

- مصورة عن نسخة موجودة بمكتبة ليدن، تحت رقم ٤٧٤ / مجاميع
علوم القرآن. ضمن مجموعة من ورقة ١٧٨/أ - ١٨٠/أ، وخطها نسخ،
ومنها مصورة (ميكروفلم) في معهد البحوث وإحياء التراث، تحت رقم
٦/٢٤، مجاميع.

- ومصورة عن نسخة موجودة بتركيا - مكتبة أحمد الثالث، تحت رقم
١١٥٤ / مجاميع. من ورقة ١٠٩/أ - ١١١/أ. ومنها مصورة (ميكروفلم)
في معهد البحوث وإحياء التراث، تحت رقم ١٤/٢٤٣ / مجاميع.

=

٧- ومنها تفسير "التحرير والتنوير" لمحمد الطاهر ابن

عاشور (ت ١٣٩٣هـ) رحمه الله.

قال في تمهيده لكتابه هذا: "وقد اهتممت في تفسيري هذا ببيان وجوه الإعجاز ونكت البلاغة العربية، واساليب الاستعمال، واهتممت أيضاً ببيان تناسب اتصال الآي بعضها ببعض، وهو منزع قد عني به فخر الدين الرازي، وآلف فيه برهان الدين البقاعي كتابه المسمى "نظم الدرر في تناسب الآي والسور" إلا أنهما لم يأتيا في كثير من الآي بما فيه مقنع، فلم تزل أنظار المتأملين لفصل القول تتطلع، أمّا البحث عن تناسب مواقع السور بعضها إثر بعض، فلا أراه حقاً على المفسر" اهـ^(١). ومن الكتب التي تعين على معرفة مقاصد السور، وبالتالي تعين على معرفة المناسبات:

- مصورة عن نسخة شستربتي تحت رقم (٥١١٢)، من لوحة ١١٤/ب- ١١٨/أ.

- مصورة عن نسخة جامعة برنستون، مجموعة يهودا، رقم (٤٧٤٦)، لوحة ٩/ب- ٢٢/أ.

وقد حققتها وعلقت عليها، وتممت فوائدها، والله الحمد والمنة.

(١) التحرير والتنوير (٤/١).

- ١- كتاب "بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز" لمجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي (ت ٨١٧هـ). فقد تكلم فيه عن ما اشتملت عليه السورة من المقاصد. وهذا في المجلد الأول منه^(١).
- ٢- وكتاب "مصاعد الفكر في مقاصد السور" للبقاعي (ت ٨٨٥هـ)^(٢). وقد ذكر ذلك البقاعي في كتابه "نظم الدرر" وله عليه زيادات.

m m m

وهذا ختام هذه الدراسة، التي أسأل الله تبارك وتعالى أن يتقبلها وجميع عملي خالصة لوجهه الكريم، وداعية إلى سنة نبيه الرؤوف الرحيم، وأن يرزقني القبول في الدنيا والآخرة، إنه سميع مجيب.

(١) والكتاب مطبوع في ٦ مجلدات، تحقيق محمد النجار، دار الكتب العلمية، بيروت.

(٢) وهو مطبوع، في ثلاثة مجلدات، بتحقيق د. عبدالسميع محمد أحمد حسنين، مكتبة المعارف، الرياض، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ.

فهرست المصادر والمراجع

- القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم.

(أ)

- أبجد العلوم الوشي المرقوم في بيان أحوال النجوم / لصديق بن حسن خان القنوجي (ت ١٣٠٧هـ)، أعدّه للطبع: عبد الجبار زكار، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق ١٩٨٧ م.

- الإتيقان في علوم القرآن / لجلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ)، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار التراث، القاهرة، الطبعة الثالثة ١٤٠٥هـ.

- إعجاز القرآن / لأبي بكر محمد بن الطيب الباقلاني (ت ٤٠٣هـ)، تحقيق: سيد أحمد صقر، دار المعارف / مصر، الطبعة الثالثة.

- أنوار التنزيل وأسرار التأويل / لعبدالله الشيرازي البيضاوي (٦٨٥هـ) / دار الفكر ١٤٠٢هـ.

- أنوار التنزيل وأسرار التأويل / لعبدالله الشيرازي البيضاوي (٦٨٥هـ) = حاشية الشهاب الخفاجي على البيضاوي

(ب)

- البرهان في علوم القرآن / لبدر الدين محمد بن عبد الله
الزركشي (ت ٧٩٤هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الطبعة الثالثة
١٤٠٠هـ، دار الفكر.

(ت)

- التحرير والتنوير من التفسير / لمحمد الطاهر ابن عاشور، الدار
التونسية للنشر، ١٩٨٤م.

- تفسير الألوسي = روح المعاني
- تفسير البضاوي = أنوار التنزيل.
- تفسير الرازي = التفسير الكبير.
- تفسير الطبري = جامع البيان
- تفسير القرطبي = الجامع لأحكام القرآن.
- التفسير الكبير / لفخر الدين محمد بن عمر الرازي (ت ٦٠٦هـ)،
دار إحياء التراث العربي، الطبعة الثالثة.

(ج)

- جامع الأصول في أحاديث الرسول ﷺ ، لمجد الدين أبي البركات
ابن الأثير (ت ٦٠٦هـ)، تحقيق عبد القادر الأرناؤوط، دار الفكر، الطبعة
الثانية ١٤٠٣هـ.

- جامع البيان عن تأويل القرآن / لمحمد بن جرير الطبري (ت ٣١٠هـ)، دار الفكر، بيروت، ١٤٠٥هـ.
- الجامع الصحيح، لمحمد بن إسماعيل البخاري (ت ٢٥٦هـ) تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، مع شرحه فتح الباري، المطبعة السلفية.
- الجامع الصحيح، لمسلم بن الحجاج النيسابوري (ت ٢٦١هـ)، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث.
- الجامع لأحكام القرآن، لأبي عبدالله محمد الأنصاري القرطبي، (ت ٦٧١هـ)، تصحيح / أحمد عبدالعليم البردوني، وزملائه، الطبعة الثانية ١٣٧٢هـ.

(ح)

- حاشية الشهاب الخفاجي على تفسير البيضاوي / لأحمد بن محمد الخفاجي (ت ١٠٦٩هـ)، وبهامشه تفسير البيضاوي / المكتبة الإسلامية، أزمير، ديار بكر، تركيا، دار صادر، بيروت.

(ر)

- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني / لأبي الفضل شهاب الدين محمود الألوسي (ت ١٢٧٠هـ)، دار الفكر سنة ١٤٩٨هـ.

(س)

- سنن البيهقي = السنن الكبير (الكبرى)

- سنن الترمذي، لمحمد بن عيسى الترمذي (ت ٢٧٩هـ)، تحقيق أحمد شاكر ج ١، ٢، ومحمد فؤاد عبد الباقي ج ٣، وإبراهيم عطوة ٤، ٥، وفي آخره العلل الصغير للترمذي أيضاً، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

- سنن الدارمي، لعبد الله بن عبد الرحمن الدارمي (ت ٢٥٥هـ)، بعناية محمد أحمد طهمان، دار إحياء السنة النبوية.

- السنن الكبير (الكبرى) / لأحمد بن الحسين البيهقي (ت ٤٥٨هـ)، وفي ذيله "الجوهر النقي"، مطبعة مجلس دائرة المعارف النظامية، الهند ١٣٤٤هـ.

(ش)

- شرح السنة / لحسين بن مسعود البغوي (ت ٥١٦هـ)، تحقيق : شعيب الأرناؤوط، ومحمد زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، الطبعة الثانية ١٤٠٣هـ.

(ص)

- صحيح البخاري = الجامع الصحيح للبخاري
- صحيح مسلم = الجامع الصحيح لمسلم

- صحيح سنن الترمذي باختصار السند / صحيح الأحاديث لمحمد ناصر الدين الألباني، نشر مكتب التربية العربي لدول الخليج، توزيع المكتب الإسلامي، الطبعة الأولى ١٤٠٨ هـ.

- صحيح مسلم = الجامع الصحيح لمسلم

(ف)

- فتح الباري بشرح صحيح البخاري، لأحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢ هـ)، تحقيق عبدالعزيز بن باز إلى كتاب الجنائز (ج ١ - ٣)، ترتيب وترقيم محمد فؤاد عبد الباقي، المكتبة السلفية.

- فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير / لمحمد بن علي الشوكاني (ت ١٢٥٠ هـ)، دار المعرفة.

- فضائل القرآن / لعلم الدين إسماعيل ابن كثير (ت ٧٧٤ هـ)، دار الأندلس، بيروت.

- الفوائد المشوق إلى علوم تتعلق بالكتاب العزيز / منسوب إلى ابن قيم الجوزية، نشر دار نشر الكتب الإسلامية، باكستان، كوجرانواله، الطبعة الأولى ١٣٩٤ هـ.

(ق)

قطف الأزهار في كشف الأسرار (أسرار التنزيل) / لجلال الدين
عبدالرحمن السيوطي (ت ٩١١هـ) رحمه الله. وهو كتاب مخطوط^(١).

(م)

- مباحث في علوم القرآن / لصبحي الصالح، دار العلم للملايين،
الطبعة العاشرة ١٩٧٧م.

- مباحث في علوم القرآن / لمناع القطان، مؤسسة الرسالة، الطبعة
السابعة ١٤٠٠هـ.

- مدارج السالكين بين منازل "إياك نعبد وإياك نستعين" / لابن قيم
الجوزية (ت ٧٥١هـ) / تحقيق محمد حامد الفقي / بدون معلومات نشر.

- المرشد الوجيز إلى علوم تتعلق بالكتاب العزيز / لشهاب الدين
عبدالرحمن بن إسماعيل أبوشامة (ت ٦٦٥هـ)، تحقيق طيار آلي قولاج،
دار صادر، بيروت ١٣٩٥هـ.

(١) وقفت على نسخة منتهية إلى سورة براءة، وقال ناسخها في آخرها: "تم
هذا الكتاب بمنه وكرمه وحسن توفيقه، وكان الفراغ من ذلك يوم الاثنين
المبارك سادس شهر الحجة، سنة سبع وخمسين وتسعمائة، على يد كاتبه
محمد الأجهوري بلداً الشافعي مذهباً، غفر الله له ولوالديه والمسلمين،
أمين. أمين. أمين" اهـ.

- مسند أحمد بن حنبل، لأحمد بن محمد بن حنبل
(ت ٢٤١هـ)، الطبعة الميمنية، وبهامشه المنتخب من كنز العمال، المكتب
الإسلامي، بيروت، الطبعة الثانية ١٣٩٨هـ (١).
- المصاحف / لأبي بكر عبدالله بن أبي داود السجستاني
(ت ٣١٦هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ.
- معجم البلاغة العربية / للدكتور. بدوي طبانة، دار المنارة، جدة،
دار الرفاعي، الطبعة الثالثة ١٤٠٨هـ.
- معجم مقاييس اللغة = مقاييس اللغة
- مفاتيح الغيب = التفسير الكبير
- مقاييس اللغة، لأبي الحسين أحمد بن فارس (ت ٣٩٥هـ)، تحقيق
عبد السلام هارون، دار الكتب العلمية، إسماعيليان نجفي، إيران.
- المقنع في رسم مصحف الأمصار / لأبي عمرو عثمان بن سعيد الداني
(ت ٤٤٤هـ)، تحقيق محمد الصادق القمحاوي، نشر مكتبة الكليات
الأزهرية.

(١) وإذا رجعت إلى الطبعة التي حققها الشيخ أحمد شاکر، طبع دار
المعارف، مصر ١٣٧٧هـ، فإني أنبه على ذلك.

- ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه
المتشابه اللفظ من آي التنزيل / لأحمد بن الزبير الغرناطي، تحقيق : محمود
كامل أحمد، دار النهضة العربية، بيروت ١٤٠٥هـ.

(ن)

- النبأ العظيم / لمحمد عبدالله دراز، دار القلم، بيروت، الكويت،
١٤٠٠هـ.

- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور / لبرهان الدين البقاعي
(ت ٨٨٥هـ)، خرج آياته وأحاديثه ووضع حواشيه: عبدالرزاق غالب
المهدي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ، توزيع
دار الباز، مكة.

N

- علم المناسبات في السور والآيات ٧
- المدخل: ترتيب سور القرآن وآياته توقيفي ١١
- ١- بداية علم المناسبات ١٩
- ٢- تعريف علم المناسبات ٣١
- ٣- علم المناسبات توقيفي ٣٧
- ٤- حكم تطلب المناسبات بين السور والآيات ٣٧
- شروط جواز طلب المناسبات في القرآن العظيم ٣٣
- ٥- فضل علم المناسبات ٤٤
- ٦- مسائل وتنبيهات ٤٨
- مسألة : المناسبات تتعلق بالسور والآيات، فما هي السورة؟ وما هي الآية؟ ٤٨
- مسألة : ما الطريقة الرشيدة لمعرفة المناسبة؟ ٤٨
- مسألة : ما أحوال ارتباط الآي بعضها ببعض ؟ ٥١
- مسألة: ما أسباب المزج المعنوي ؟ ٥٢

مسألة : فإن قلت: ما الفرق بين التخلص والاستطراد؟ ٦١

مسألة : يكفي في الجامع التعلق على أي وجه كان، ما دامت شروط قبوله

متوفرة..... ٦٢

مسألة : كما أن النكات لا تتزاحم، فكذا المناسبات لا تتزاحم، بمعنى: لا مانع

أن توجد بين الآية والآية أكثر من مناسبة..... ٦٢

مسألة : أيهما أولى البداءة به : المناسبة أو سبب النزول؟ ٦٢

تنبيه : الاهتمام بمعرفة مقاصد السورة وموضوعاتها، يساعد على سداد القول

وتوفيقه للصواب، ويبعده عن جور القصد..... ٦٣

تنبيه : لا يشترط في الكلام على مناسبة آية وآية أن يكون وقت نزولهما واحداً؛

لأن الزمان إنما يشترط في سبب النزول. ولا يشترط في المناسبة لأن المقصود منها

وضع آية موضع يناسبها، والآيات كانت على أسبابها، وتأخذ ترتيبها في السورة

بتوقيف من الرسول صلى الله عليه وآله وسلم..... ٦٣

تنبيه : لا يقصد بالصلة بين الآية والآية اتحادهما أو تماثلها أو تداخلها، أو ما

إلى ذلك من الصلات الجنسية فحسب، بل الصلة تكون بذلك وبغيره مما مضت

الإشارة إليه..... ٦٣

تنبيه : تكرر من بعضهم قوله: "ختم بكذا مراعاة للفاصلة في الآي" أو قوله:

"قدّم وأخر مراعاة لفواصل الآي"!!..... ٦٣

٧- أهم المصنفات في هذا العلم ٦٥

فهرست المصادر والمراجع ٦٥